

-كتاب فقه اللغة وسر العربية نموذجاً-

الأستاذ : لخضر حاكمي.

معهد اللغة العربية وآدابها

المركز الجامعي د/ مولاي الطاهر - سعيدة.

مقدمة:

نحاول في بحثنا هذا الجوس داخل الموروث العربي من خلال مداينة اللفظة العربية في ذبذباتها الصوتية واستعمالاتها اللغوية في معجم فقه اللغة وسر العربية للثعالبي. لأن دراسة الوحدة المعجمية أمر لا يستهان به طالما أن الكلمة هي الوحدة الأساسية في تنشئة القول، لذا كان علينا الخوض في عوالم اللفظة باعتماد الدراسة الصوتية، والتي من شأنها أن تمكننا من الكشف عن طبيعة البنية اللغوية، وذلك بتدقيق النظر في التكوين المعجمي والمفهومي لألفاظ اللغة.

وعليه يكون من محصول الحاصل التركيز على وظيفة الوحدات اللسانية، وعلى البنى التي تكونها ضمن مبادئ التحليل الصوتي التي قد تسعفنا إلى بلورة كيفية منسجمة تغطي مجموع العلائق المعجمية وتكشف في الوقت ذاته عن التنسيق الصوتي فيها. ولعل البادرة الافتراضية- التي مفادها أن ما أنشئ تجميعاً صوتياً- هو في الواقع اللغوي تتسابق إن على مستوى الصوت الواحد في الكلمة أو على مستوى التردد الصوتي فيها. فيكون من الأهمية بمكان أن نلح على الخاصية العلمية* وليس على الخاصية المعيارية لهذه الدراسة. ثم لما كانت اللفظة تحوي أصواتاً متجمعة، وبفضلها تتأتى الدلالة، كان الصوت هو العماد الأساس في صناعة اللفظ، لأنه "هوالة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف".1

ومن هنا يتبين ما للصوت من أهمية في تحوير المعنى ما دامت مادة الكلام هي في الواقع أصوات منظومة بشكل خاص، فوجب علينا من هذا المنظور الوقوف على الأصوات في تقردها وفي ائتلافها" لأن الأصوات المفردة المعزولة إذا نظمت صارت كلمات والكلمات بماتحملة من دلالات إذا دخلت في علاقات النظم صارت جملاً وكلاماً"2. فيصير هدفنا هو معرفة طبيعة التأليف في بنية الكلمة وبالتالي معرفة خصائص البناء الصوتي فيها.

هذا، وقبل البدء في تحليلنا هذا فضلنا التعرّيج على كتاب فقه اللغة وسر العربية من حيث المنهجية المتبعة في تأليفه.

1- قراءة وصفية في كتاب فقه اللغة وسر العربية :

إن القارئ لكتاب فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي يلفي اشتغاله على قسمين اثنين: أحدهما متعلق بالمفردة وما تشتمل عليه من معان، والقسم الثاني يقتصر على التراكيب اللغوية التي استعملها العربي وجرت على لسانه. ومادامت دراستنا تخص جزءا من القسم الأول حاولنا أن نبدي وصفا عاما لماتعلق بهذا القسم.

ولعل أول ملاحظة يمكن أن نبديها هي أنه كان لأئمة اللغة أثر بالغ في مؤلف الثعالبي، ذلك أنه حين يتكلم في أي فصل من أي باب يورد ولأريب أسماء لأولئك، نذكر منهم الخليل بن أحمد الفراهيدي والأصمعي وأبو عمر الشيباني والكسائي، والفراء وأبو زيد الأنصاري... وغيرهم.

ومن هذا المعين الفكري أخذ الثعالبي يبوب كتابه ويرتبه إلى أبواب وفصول، وضع لكل باب عنوانا يشمل الإطار المعرفي الذي تنضوي تحت معناه الألفاظ، وجعل عناوين للفصول التي تنتمي إلى باب معين فكان الفصل فرعا من الكل، ومثال ذلك قوله: "الباب الأول: وفي الكليات وهي ما أطلق أئمة اللغة في تفسيره لفظ كل، الفصل الأول: فيما نطق به القرآن من ذلك وجاء تفسيره عن ثقات الأئمة"3 ونلفي هذا التصنيف حتى آخر باب من أبواب المعجم وفصوله.

والقارئ لما إحتوته الفصول يرى أن الثعالبي يبدأ . في مواضع . بذكر الوصف ثم ينهيها بما يلائمه من نعت (لفظ). وفي مواضع أخراة يذكر اللفظ ثم يسترسل في ذكر مدلوله، فمن النوع الأول قوله في الفصل السابع والعشرين من الباب الخامس عشر من الكتاب: "وهو في الأصول والرؤوس والأعضاء والأطراف وأوصافها وما يتولد منها وما يتصل بها ويذكر معها عن الأئمة"4 :

إذا كان الرجل حاد اللسان قادرا على الكلام فهو ذرب اللسان وفتيق اللسان، وفي الفصل الثامن والعشرين من نفس الباب وعنوانه: في عيوب اللسان والكلام يقول: الرثة:حبسة في لسان الرجل وعجلة في كلامه.

ونجد الثعالبي ينحو منحى آخر عند ذكره للألفاظ دون شرح (وخاصة في الفصول التي يتحدث فيها عن ترتيب الأحجام والصفات، مثال ذلك قوله في الفصل الثلاثين من الباب الخامس عشر وعنوانه: في ترتيب العي يقول: "رجل عي وعيي ثم حصر ثم فة ثم مفحم ثم لجلاج ثم أبكم")5.

ثم مايمكن قوله في هذا الصدد هو أن الثعالبي درج في كتابه هذا على التمثيل من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر، فكان استحضاره للمعنى أو اللفظ هو استحضاره للآية أو الحديث أو البيت الذي يخدم هذا اللفظ.

يمكننا الآن - وقبل بدء تطبيقنا العملي - القول إن المعجمية هي في الواقع اللغوي تبليغ يتم بمقتضاه تحليل التجربة اللغوية من مركبها الصوتي المائل في الكلمات، وإن هذا المركب يتقطع بدوره إلى وحدات متميزة ومتوالية هي الصوتيات* التي بفضلها يتأتى الانسجام المعجمي.

2- التأليف الصوتي في المعجمية العربية:

إنَّ ما دأب عليه علماء العربية هو أنَّ " المقاطع الصوتية نوعان: متحرك open، وساكن closed والمقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أما المقطع الساكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن"6 والعربية بمفرداتها تجميع لتلك المقاطع في تنظيم متآلف يشكل في المعجمية انسجاما وثيق الاتصال يستحيل انفصام مقاطعها عند النطق بها.

ولهذا " أشار النحاة من القدماء إلى ميل اللغة العربية إلى المقاطع الساكنة حين قرروا استحالة اجتماع أربعة متحركات في الكلمة الواحدة، وكرهته فيما هو كالكلمة، ومعنى قولهم هذا يعبر عنه المحدثون أن اللسان العربي ينفر من توالي أربعة مقاطع متحركة فيما هو كالكلمة ولكنهم أباحوا توالي أربعة مقاطع ساكنة فيما هو كالكلمة، إذنقول: استفتهم"7. ولعل هذا مايجعلنا نستكنه دروب اللفظ الذي اختاره الثعالبي ومعرفة مدى ع من باب التواطؤ الصوتي" ولايسع الباحث المنصف بعد كل هذا إلا أن يعد أولئك الذين انتصروا للربط بين الأصوات والمدلولات قوما من الأدباء يستشفون في الكلمات أمورا سحرية ويتخيلون في منطوقها رموزا وعلامات لايرها اللغوي العملي...ولاشك أن الإستعمال الأدبي للكلمة في شعر أو نثر يوثق على توالي الأيام بين الأصوات والمدلولات ولاسيما في عبارات المشهورين من الأدباء التي قد تبلغ عند بعض الشعوب حد التقديس والعبادة، وتصبغ أصوات الكلمات بصبغة معينة يستمسك بها الناقد ودارس الأدب"8.

وينتمي كتاب فقه اللغة وسر العربية إلى نوع (معاجم المعاني)والتي تهدف إلى " تقديم الألفاظ لمن يمتلك معنى ويريد التعبير عنه ولا يجد له لفظا"9 . وعليه فلا غرو إذا ما اعتمدنا في دراستنا كتاب الثعالبي كونه أنشئ خصيصا لنفع مستعملي العربية في التعبير عن الفكرة بألفاظ شتى. وقد آثرنا دراسة نماذج معجمية في الفصل الأول من الباب الأول من هذا الكتاب المعنون ب:في الكليات، ويضم هذا الفصل (مناطق به القرآن من ذلك وجاء تفسيره عن ثقات الأئمة).

يقول أبو منصور الثعالبي: " كل ما علاك فأظلك فهو سماء، كل أرض مستوية فهي صعيد، كل حاجز بين الشئيين فهو مويق، كل بناء مربع فهو كعبة، كل بناء عال فهو صرح ..."10.

إننا إذا ما تبصرنا في هذه التنعيات نجدها موسومة ب: سماء، صعيد، مويق، صرح، كعبة دابة. فلفظة سماء احتوت صوت لين " وأصوات اللين الطويلة في اللغة العربية قد يزداد طولها ضعفا أو ضعفين حين يليها همزة أو صوت مدغم، سواء كان هذا في كلمة واحدة وهو ما اصطلح القدماء على تسميته بالمد المتصل، أو في كلمتين وهو المد المنفصل" 11 . ومن هنا تتأتى أريحية التطويل في الصوت قصد كسب اللفظة العربية تناسقا صوتيا ينأى بها عن الاضطراب المخل، ولذلك كان " الحرص على صوت اللين وطوله لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة والإدغام، لأن الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين، إذ الأول يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حرا طليقا، وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة، في حين أن النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقا محكما يليه انفراجها فجأة. فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطي المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضوي كبير، وإلى عملية صوتية تباين كل المبانيعة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللين "12. فيكون من باب التناسق الصوتي إطالة

الصوت حينما يليه صوت مدغم تجنبنا لنشازة الكلمة باعتبارها جميعا لأصوات قد يجلو معناها في تناسقها، كما قد يغيب في تنافرها.

وقد أشار إبراهيم أنيس إلى معنى كلمة سماء بقوله : " كلمة السماء تشترك بمادتها اللغوية ودلالاتها المعروفة بين كل الساميات، ولا شك أنها انحدرت إلى هذه اللغات الشقيقة من السامية الأم التي يفترض الدارسون أنها الأصل أو الأرومة لكل اللغات السامية وتعد كلمة السماء من أقدم الكلمات التي اهتدى إليها الإنسان السامي، فهي مع مجموعة أخرى من الكلمات تمثل بعض العناصر السامية التي يتخذها الدارسون دليلا على انتماء هذه اللغات إلى فصيلة واحدة "13.

ولعل ما هو جدير به في قول أنيس هو تركيزه على تناسق وتجانس الوحدات الصوتية في الكلمة الواحدة ، لأن أولئك العباقرة " اصطنعوا رمزا كتابيا خاصا لكل من هذه الأصوات، واتضحت في أسماعهم الصفات الأساسية مع كل صوت، تلك الصفات ذات الأثر البين في تشكيل الكلمات وتصنيفها، بحيث إذا حل أحد هذه الأصوات محل آخر منها تغير معنى الكلمة أو وظيفتها في الجملة"14.

وعليه يكون من الراجح أن تصوير اللفظة ذات دور ازدواجي يتجلى في تلازم صوتي يبيح معنى دلاليا نتيجة " خفة الألفاظ على السمع إما لخلوصها من تقارب المخارج، أو لمزية في التأليف توجب حسنا في السمع تتفاوت به الكلمات المشتركة في تباعد المخارج، أو لإعتدال الكلمة وكونها من المعتاد المعروف من حيث عدد الحروف"15. وقد نصل إلى ما كنا منه قد انطلقنا- في أن المعجمية العربية أميل إلى التناسق اللفظي- مستنديين برأي ابن سنان الخفاجي حين قال: "ومثال التأليف من الحروف المتباعدة كثير، جل كلام العرب عليه، فلا يحتاج إلى ذكره، فأما تأليف الحروف المتقاربة فمن أمثله الهعخع، ولحروف الحلق مزية في القبح إذا كان التأليف منها فقط"16وعليه فلا ريب إن نحن رأينا بعض اللغويين يقحم جانب الفصاحة في باب التناسق الصوتي بقوله: " أن الكلمة العربية إذا أريد لها أن تكون فصيحة مقبولة فإنها تتطلب في مخارج حروفها أن تكون متناسقة"17.

ومن باب الكشف عن التناسق الصوتي، نجري هاهنا معاينة لما تقارب من أصوات في الكلمات المختارة من كتاب فقه اللغة:

لفظة سماء وفيها: س - أسناني لثوي ، م - شفوي، ا - صوت لين، ء - حنجري

لفظة صعيد وفيها: ص - أسناني لثوي، ع - حلقي، ي - صوت لين غاري، د - أسناني لثوي

لفظة موبق وفيها: م - شفوي، و- شفوي، ب - شفوي، ق - لهوي

لفظة كعبة وفيها: ك - طبقي، ع - حلقي، ب - شفوي، ة - لثوي

لفظة صرح وفيها:ص - أسناني لثوي، ر- لثوي، ح - حلقي

إذا أمعنا النظر في أصل مخارج الحروف وجدناها متباعدة في المخرج، ومن ثم كانت أليقا للمجاورة في اللفظ. أما عن لفظة موبق فقد حدث فيها اجتماع لأصوات شفوية، بيد أن الانتقال من الفتحة إلى السكون ثم على الكسرة، كسر ذاك الثقل. ومن هنا ففكرة تقارب المخارج وتباعدها هي من الأسس القوية التي ارتكزت عليها اللغة العربية، ولذلك وجد اللغويون في تجاور الحروف ذات المخرج الواحد تنافرا صوتيا.18

3- النبر في المعجمية العربية:

إن الكلام عن النبر يقودنا إلى الكلام عن طول الصوت وامتداده، ذلك أن "الصوت المنبور أطول من غير المنبور" 19 . كما يلاحظ مع الصوت المنبور "نشاط في أعضاء النطق" 20. وهذه ميزة تقتضيها المواضع اللغوية، لأن المرء حين ينطق بلغته يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة، ليجعله بارزا أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة، وهذا الضغط هو الذي نسميه النبر" 21. ومن المعروف عن النبر أنه نبران: نبر أولي وهو الموجود في جميع الكلمات والصيغ ونبر ثانوي وهو المقتصر على الكلمة حيث تبدو في نطقها كلمتين، وذلك بسبب التطويل فيها 22. وعن حال النبر في الكلمات المختارة، فقد كان:

في كلمة سماء مقتصرًا على المقطع الأخير وهو المقطع المنغلق الطويل (ماء).
في كلمة صعيد مقتصرًا على المقطع الأخير وهو المقطع المنغلق الطويل (عيد).
في كلمة موبق مقتصرًا على المقطع الأخير وهو المقطع المنغلق القصير (بق).
في كلمة صرح مقتصرًا على المقطع الأخير وهو المقطع المنغلق القصير (حن).
ولعل أبجدية الإستعمال هي التي أتاحت إيقاع نبر السياق الإستعمالي لأنه "يحرص على إظهار موسيقى اللغة بحفظ المسافات المتساوية، أو المتناسبة بين مواقع النبر مما يعطي اللغة موسيقاها الخاصة التي تعرف بها بين اللغات" 23.

هذا، وبعد الذي أوردناه مقدّمًا، حدا بنا القول إن الميراث المفرداتي العربي ممثلا في كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبي قد نحا فيه المعجم نحو الإستعمال الوظيفي للكلمة التي أضحت منبعًا ترجع إليه جل الدراسات، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على أن الجانب المفهومي للكلمة أضحى متسعا بعدما كان خاوي الوفاض، ثم أن هذا الإستعمال المعجمي لم يكن من قبيل المزج العشوائي بين الأصوات، بل كان نتيجة فطرة تعبيرية فُطر عليها العربي حتى صار تعبيره أجود وأروع من خلال ما خبرته قريحته في أصوات اللفظة الواحدة، حتى صار اللفظ العربي متواشجا ومتناسقا.

الهوامش والإحالات:

* نقصد بالخاصية العلمية هو التفصيل الذي تخضع له اللفظة من بيان أصواتها وخصائصها، وكذا المقطع الصوتي والنبر،

- 1 - أبو منصور الثعالبي كتاب فقه اللغة وسر العربية، تحقيق ومراجعة الدكتور فايز محمد والدكتور إميل يعقوب دارالكتاب العربي الطبعة الرابعة 1999 - ص 21.
- 2 - حلمي خليل مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة ص 342
- 3 - أبو منصور الثعالبي، المصدر السابق، ص 30.
- 4 - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، طبعة 1992 ص 160-161.
- 5 - حلمي خليل المرجع السابق، ص 342.

- * أشار إلى لفظ الصوتيات أندريه مارتيني في كتابه: مبادئ في اللسانيات العامة، ترجمة الدكتور سعدي زبير دار الآفاق الجزائر، ب.ت
- 6 - إبراهيم أنيس، المصدر السابق ص 160-161
- 7 - المصدر نفسه، ص 162.
- 8 - إبراهيم أنيس، من أسرار اللغتين مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة، الطبعة الثالثة 1966. ص 134-135
- 9 - الجيلالي حلام، المعاجمية العربية، قراء في التأسيس النظري الطبعة الأولى 1997، ديوان المطبوعات الجامعية- وهران ص 12.
- 10 أبو منصور الثعالبي، المصدر السابق ص 21.
- 11 إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية ص 158.
- 12-المصدر نفسه ص 158.
- 13-نفسه ص 93.
- 14-نفسه ص 93.
- 15-محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، بيروت، 1999 ص 458-459
- 16-بن سنان الخفاجي سر الفصاحة تحقيق علي فودة، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى 1932.
- 17 -تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة الدار البيضاء المغرب، طبعة 1973- ص 265
- 18-ينظر المرجع نفسه ص 269، وكذا عبد الواحد حسن الشيخ، التنافر الصوتي والظواهر السياقية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية مصر، الطبعة الأولى 1999، ص 41-42.
- 19- عبد الواحد حسن الشيخ المرجع السابق، ص 56.
- 20-إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية المصدر السابق ص 169-170.
- 21-المصدر نفسه، ص 170.
- 22- تمام حسان المرجع السابق، ص 174-175.
- 23- المصدر نفسه، ص 307.

آليات إحصاء المفردات وترتيبها من طريق العلاقات الدلالية في معجم الموضوعات

تقديم الأستاذة : أمال فرفار.

أستاذة مساعدة : المركز الجامعي

الشيخ العربي التبسي - تبسة.

مقدمة:

أدرك علماء العربية - منذ القديم - العلاقات الدلالية التي تربط الكلمات, كان يكون للكلمة أكثر من معنى, أو يكون لمجموعة من الكلمات معنى واحد, أو أن يكون للفظ نفسها مدلولين متضادين, و تنشأ هذه العلاقات بين الكلمات على أساس المعنى المعجمي, و هو المعنى الذي يسند المعجم لمفردات اللغة, فتتأسس العلاقات الدلالية المختلفة, بناء على مدى التشابه أو التقارب أو الاختلاف بين المعاني المعجمية للكلمات.

و أحاول في هذه المداخلة أن ابرز دور هذه العلاقات في صناعة معجم الموضوعات أو المعاني, و كيف شكلت في الوقت ذاته ظاهرة لسانية, و ثروة لغوية متعددة المزايا من جهة و طريقة لإحصاء المفردات المعجمية من جهة أخرى.

فبين جدل إنكار وجودها و الحرص على إثباتها سلكت طريقها إلى البحث المعجمي العربي, و لا أشير فقط إلى جهود علماء المعاجم المحدثين, في اعتبار العلاقات الدلالية أهم أدوات تحديد ماهية الكلمة من جهة و آلية لإحصاء المادة المعجمية داخل المعاجم المصنفة أو ما يصطلح عليها بمعاجم الحقول الدلالية من جهة أخرى, بل أشير خاصة إلى اجتهادات العلماء القدامى في إطار معاجم الموضوعات و المعاني, إذ ظل الحديث عن دور العلاقات الدلالية في جمع المادة و ترتيبها داخل هذه المعاجم باهتا و شبه معدوم, ربما لأن اللجوء إلى هذه الآلية كان عفويا و غير مباشر, إذ فرضت نفسها فرضا على من ألف في الموضوعات, إذ تنطوي تحت أي موضوع مجموعة من المفردات تربطهما علاقات دلالية تختلف من موضوع و تفرعاته إلى آخر داخل حقل دلالي واضح و هذا عكس ما أشارت إليه المعجمات المصنفة الحديثة التي اعتمدت نظرية الحقول الدلالية, ة التي تقر بوجود علاقة دلالية على الأقل داخل كل مجال دلالي.

سلك المعجميون العرب طرقا مختلفة في جمع المادة اللغوية , فمنهم مكن اتباع طريقة الإحصاء العقلي

أو الرياضي, و أحسن من يملها معجم العين إذ تمكن الخليل ابن احمد الفراهيدي من خلاله جمع مادة معجمية عن طريق التوافيق و التباديل الرياضية, و طريقة المشافهة و تعتمد على العمل الميداني مثل جهود الأزهرى في معجمه " تهذيب اللغة ". و جمع مادة المعجم من المعاجم السابقة.^{xv}

و بتطور التكنولوجيا أصبح جمع المادة المعجمية أكثر يسرا بفضل ما توفر من تقنيات فعالة مثل الماسحات البصرية و الحواسيب الالكترونية... و غيرها.

اعتمدت معاجم الموضوعات و المعاني في جمع مادتها على مادة المعاجم السابقة و لكنها باختيارها الموضوع منهجا في التأليف، فإنها قصدت إلى ذلك أو لم تقصد، فقد استثمرت العلاقات الدلالية بوضوح في جمع مادتها أيضا، و هذا ما سأبينه في ما يلي :

أولا : أهم العلاقات الدلالية في المعجم العربي :

تعد العلاقات الدلالية حقيقة لا سبيل إلى إنكارها ^{xvi}، و هي ظاهرة لغوية مشتركة بين عدة لغات، و سأعرض في ما يلي أهم هذه العلاقات و لعل أبرزها :

1. **الترادف** : و قد عد لحضوره الكثيف في لغتنا العربية من ابرز خصائصها، و هو الألفاظ المختلفة في التكوين الصوتي، و المتفقة في المعنى، و يعرفه بعض علماء العربية القدماء بقولهم : " هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد" ^{xvii}، و مثل بالعدل الذي أورد له صاحب القاموس ثمانين اسما، و منها : العدل، الحميث، الشهد، العنفوان، الصبيب، لعاب النحل، قيء الزنابيل، الرحيق، الشفاء، السلاف... ^{xviii}. و عرفه " ستيفان اولمان " بأنه : " الألفاظ المتحدة المعنى، و قابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق" ^{xix}. و الترادف أنواع : الترادف الكامل، شبه الترادف، التقارب الدلالي، الاستلزام، استخدام التعبير المماثل، الترجمة....

أولى العلماء عناية خاصة بظاهرة الترادف، و قد ترجم هذا الاهتمام لأفراد كتب للكلمات المترادفة، فألف ابن خالويه (ت 370 هـ) كتابا في أسماء الأسد و كتابا آخر في أسماء الحية... كما ألف الفيروز أبادي (ت 817 هـ) كتابا اسماء " الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألف" و كتابا آخر اسماء " ترقيق الأسئل لتصنيف العدل" و قد اشرنا إليه سابقا. و من أهم أسباب وقوع الترادف :

- اختلاف لهجات القبائل، فقد تضع قبيلتان اسمين مختلفين للمسمى الواحد.
- استعارة كلمات من لغات أخرى بفعل الاحتكاك.
- قد يكون في اللغة كلمتين لمعنيين متجاورين، و مع طول الاستعمال يخفّي الفرق بينهما و يعتبران من المترادفات.
- قد يسمى الشيء الواحد بمسميات متعددة و تبعا لتعدد صفاته، فينشأ بذلك الترادف.
- قد ينشأ الترادف كذلك من اكتفاء مستعملي اللغة في الاستعمال اليومي بالقدر التقريبي للدلالة، دون الالتزام باستعمال الدلالة الدقيقة مما ينتج عنه ترادف بين عدة كلمات.
- التوسع في سلوك طرق الفصاحة، و أساليب البلاغة، و ذلك لان الفظ الواحد قد يتأتى باستعماله مع لفظ آخر السجع و القافية و التجنيس و الترصيع ^{xx}.

2. المشترك اللفظي :

لم يختلف العلماء المحدثون عن القدماء في تعريفهم للمشترك اللفظي و في موقفهم من هذه الظاهرة اللغوية، غير أن المحدثين من العلماء يفرقون بين "تعدد المعنى" و "المشترك اللفظي"، فأما الأخير فيطلق على الكلمات ذات المعاني المختلفة و ذات الصور و النطق الواحد، و أما الأول فيقصد به دلالة الكلمة الواحدة على أكثر من معنى. لقد عرفه السيوطي بقوله: " و قد حده أهل الأصول بان اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"^{xxi}. و لقد لنا صاحب المزهرة أمثلة متعددة عن ألفاظ مشتركة في معاني كثيرة مثل لفظ العين فهي: النقد من الدراهم، و هي المطر الذي لا يتوقف أياما، و هي عين الإنسان التي ينظر بها... و غيرها.

و من أسباب وقوعه ما يلي :

١- اختلاف لهجات القبائل، إذ قد يوجد اللفظ نفسه بين عدة قبائل، لكن اختلاف معناه في الاستعمال من قبيلة إلى أخرى.

٢- استعارة كلمة لمعنى آخر غير معناه الأصلي، فيكثر استعمالها بهذا المعنى، فتصير بمثابة الأصل لذلك المعنى، فينتج عن الاشتراك اللفظي.

٣- تطور معاني الكلمة مع المحافظة على أصواتها، فتتولد كلمات مشتركة في الصورة اللفظية، مختلفة في المعنى.

٤- تستعمل الكلمة الواحد بفعل التغيير الدلالي لمعنيين حقيقي و مجازي.^{xxii}

3. الأضداد :

يعد التضاد من أهم العلاقات الدلالية لماله من أهمية في تحديد المعاني، إذ بأضدادها تتضح الأشياء، و يقصد بالأضداد في اصطلاح علماء العربية القدماء، الكلمات التي تؤدي دلالتين متضادتين بلفظ واحد، و التضاد هو اللفظ الواحد الذي يدل على معنيين متضادين: (الجون بمعنى الأبيض و الأسود) كما يدل على ما يختلف في نطقه و يتضاد في المعنى (واسع، ضيق)، و التضاد أنواع : التضاد الحاد (حي، ميت)، التضاد المتدرج و هو ما يقع بين ثنائي من المتضادات الداخلية، و هو تضاد نسبي فتتدرج بين طرفي التضاد عبارات وسط (حار، دافئ، فاتر، مائل للبرودة، بارد)^{xxiii}، (الذهب و الفضة) تضاد متدرج، لأن الذهب ذو ثمن مرتفع و الفضة اقل ثمنا منه، و يمكن وضع معدن وسط بينهما. و قد نال التأليف في الضداد اهتمام جيل من كبار العلماء منهم الأصمعي (ت 216 هـ)، ابن السكيت (ت 245 هـ)، الانباري (ت 328 هـ) و غيرهم كثير. كما لقيت اهتمام القدماء من أصحاب المعاجم مثل معجم " الغريب المصنف" لأبي عبيدة الذي عقد للأضداد بابا منفردا.

ومن أسباب وقوع ما يلي :

١- اختلاف لهجات القبائل، فتستعمل قبيلة ما لفظا بمعنى يضاد معنى اللفظ نفسه عند قبيلة أخرى.

-اختلاف بين اللغويين حين الحكم على بعض الألفاظ على أنها من الأضداد و هذا الاختلاف من عوامل حدوث هذه الظاهرة.

-يؤدي الاستعمال السياقي دورا مهما في تفسير حدوث ظاهرة الأضداد .

-هناك بعض الكلمات تتحد في جذرها المعجمي, و تؤدي زيادة صوت على واحدة منهما إلى نشأت هذه العلاقة.

-التغير الدلالي.

و من العلاقات الدلالية الأخرى نذكر :

4. الاقتران الدلالي:

نعني به تكرار المشترك لبعض الألفاظ, و هو الميل الاعتيادي لكلمة ما على مصاحبة كلمات معينة دون غيرها, و يعود هذا الاقتران إلى اتفاق المتكلمين في كل لغة و الذي يمكنهم حدس هذا الاقتران من خلال الكلمات الاقترائية, و يؤدي الاقتران اللفظي دورا هاما في تحديد دلالة الكلمات من خلال المصاحبات المختلفة كما نرى في كلمة " أهل" التي تعني أسرة الرجل و قرابته, و تكتسب دلالات أخرى من خلال الاقتران مثل " أهل البيت", " أهل الكتاب", " أهل الذكر"^{xxiv}.

5. التضمين:

هو علاقة العموم و الخصوص, فالكلمات التي تتدرج ضمن مفهوم التضمين تتميز بعلاقة التدرج أو التصنيف الهرمي الذي يبدأ من العام إلى الخاص, فالذراع يبدأ بالكف و الإبط ثم العضد فالمرفق...كما أن هذه الكلمات تشتمل على كلمة ضامنة و أخرى متضمنة, كما تتميز بعلاقة الاستلزام, فكللمات مثل : العضد, المرفق, الساعد تستلزم كلمة ذراع.^{xxv}

6. الاشتغال :

الاشتغال هو تضمن من طرف واحد يكون (أ) مشتملا على (ب) حين يكون (ب) أعلى في التقسيم التصنيفي مثل اللؤلؤ الذي ينتمي إلى فصيلة أعلى هي " الجواهر" و على هذا فمعنى " اللؤلؤ" يتضمن معنى الجواهر.

7. علاقة التخالف :

هي علاقة دلالية أساسية, ففوق كلمة مع أخرى في علاقة تخالف يحدد لنا هذه الكلمة من طريق ثنائيات التخالف, فكل ثنائي يمكن أن يرشدنا إلى معنى من معاني الكلمة, و لنضرب بذلك مثلا كلمة " ساعة " , فيمكن أن تكون في الثنائيتين التاليتين : ساعة / دقيقة, ساعة/منبه. التخالف الأول يحدد لنا معنى الساعة باعتبارها وحدة زمنية أما التخالف الثاني فيدخل في معنى الآلة المحددة للزمن, لكن في حالات كثيرة ليس من الممكن وجود هذه الثنائيات بل تكون الكلمة في مجموعة عناصر دلالية ذات علاقة تخالف, و يشترط أن يكون عنصر منها نافي لوجود باقي العناصر فإذا وصف شيء ما بأنه أزرق فمعنى ذلك أن ليس أبيض أو اسود أو اخضر.^{xxvi}

ثانياً العلاقة بين نظرية العلاقات الدلالية و نظرية المجال الدلالي :

إن ظهور نظرية الحقول الدلالية ردت العمل المعجمي إلى حظيرة اللسانيات, باعتبار أن هذه النظرية قائمة أساساً على العلاقات الدلالية, فهي تحصر مجموعات المفردات بحسب هذه العلاقات, كما اعتبرت المفردات المعجمية ليست ذات وضع متساو, و من الضروري أن تميز بين الكلمات الأساسية و الهامشية بحسب تحكمها في التقابلات الهامة داخل الحقل, و منها على سبيل الذكر لا على سبيل الحصر :

1. الكلمة الأساسية ذات لكسيم واحد, و أن لا تنقيد مجالها بنوع محدود أو ضيق من المفردات, كما تكون ذات تميز و بروز عند المتكلم و المخاطب على السواء أي يمكن أن تكون مداخل للمعاجم القائمة على المعاني و الموضوعات.
2. كما لا تكون متضمنة في أخرى ما عدا الكلمة الرئيسية (المداخل المعجمية) التي تغطي مجموعة من المفردات.

إن معنى الكلمة و محصلة علاقاتها للكلمات الأخرى في الحقل المعجمي نفسه حسب تعريف " ليونز"^{xxvii}, و هناك تعريف آخر لا يخرج عن الإطار نفسه و هو : " مكانها في نظام من العلاقات التي تربطها بكلمات أخرى في المادة اللغوية"^{xxviii}.

إن إحصاء المفردات في معاجم الحقول الدلالية و التي عرفت بمعاجم الموضوعات و المعاني سابقاً, قائم كذلك هنا عند أصحاب هذه النظرية بآليات هي البحث عن المفردات من هذا الطريق, و ذلك ببيان أنواع العلاقات داخل كل حقل معجمي, و التي كانت بمثابة أبواب, و لا تخرج هذه العلاقات عن التي ذكرناها سابقاً في أي حقل معجمي عن ما يأتي :

1. الترادف
2. الاشتمال أو التضمن
3. علاقة الجزء بالكل
4. التضاد
5. التنافر

إن أي حقل معجمي لا بد أن يحوي علاقات من مثل هذه العلاقات بين الكلمات, إن لم تحوئها كلها. إن نظرية الحقول الدلالية جاءت في وقت متطور, استغلت جهودها في وضع معجم يعتمد على المنطقية في تصنيف الموضوعات و تبويبها, و الاهتمام بالعلاقات بين الكلمات داخل الموضوع الواحد, و ذكر أوجه الخلاف و الشبه بينها, و اعتبارها أساساً في حصر و إحصاء المفردات.

و من ثم قادت نظرية الحقول الدلالية أو المجالات إلى التفكير في عمل معجم كامل يضم كافة الحقول الموجودة في اللغة, و تقدم فيه المفردات داخل كل حقل على أساس وجود العلاقات الدلالية. و يقوم أسس المعجم المصنف للمفاهيم أو الموضوعات أو المعاني على أساسين هما:

أ. وضع قائمة بمفردات اللغة

ب. تصنيف هذه المفردات بحسب المجالات و المفاهيم التي تتناولها.^{xxix}

و هذا كله لا يمكن الوصول إليه أو حصره في قائمة من المفردات إلا إذا صنفنا المفاهيم، و أدرجت داخلها المفردات المعجمية على أساس العلاقات الدلالية، و مهما يكن من أمر فإن علماء اللغة المعاصرين قد بدأوا هذا اللون من الدراسات المعجمية و الدلالية المعتمدة على مجموعة من الألفاظ ذات المجال الدلالي المحدود، مثل ألفاظ القرابة، و مجموعة ألوان الطيف، و ذلك بالتعرف على العلاقة الدلالية بين كلمتين أو أكثر، و من ثم فإننا نجد هناك ارتباطا وثيقا بين نظرية العلاقات الدلالية و نظرية المجال الدلالي.

و على الرغم من ذلك فإن الدراسة المعجمية و الدلالية للكلمات قد استفادت إلى حد كبير من التحليل الذي قدمته فكرة المجال الدلالي، مثل حل مشكلة الترادف، و غيره حلا علميا، كما أن المقارنة بين مجموعة من الكلمات ذات مجال دلالي واحد و أخرى ذات مجال دلالي يتصل بالمجموعة الأولى، يساعد إلى حد كبير على إدراك طبيعة العلاقات الدلالية بين الكلمات، و لا شك أن المعجمي لا بد أن يستفيد و يلتفت إلى مثل هذه المجالات الدلالية باعتبارها ثمرة من ثمرات الدراسة الدلالية التي يستفيد منه عمل المعجم.^{xxx}

ثالثا معاجم الموضوعات و المعاني: (المخصص لابن سيده انموذجا)

معجم المعاني أو المعاجم المبوبة أو معاجم الموضوعات أو كتب الصفات كلها مسميات لمعجم ترتب ألفاظه على معانيها و موضوعاتها مثل معجم :

- الغريب المصنف لأبي عبيدة القاسم بن سلام (157 هـ - 224 هـ)

- متخير الألفاظ لابن فارس (329 هـ - 395 هـ)

- المخصص لابن سيده (398 هـ - 458 هـ)

يفيد هذا النوع من المعاجم الأدباء في العثور على الفصيح من الألفاظ لمجموع المعاني التي تختص في الذهن، و كذلك المترجمون، و للذين كثيرا ما تعترضهم ألفاظ لا يسعهم التعبير عنها، فيجدون ضالتهم في مادة معاجم الموضوعات، فإذا كان الباحث يعرف المعنى العام، و يريد أن يحصل على الألفاظ التي تدرج تحته، فإنه يعثر عليها في معاجم المعاني.

و قد ألف الكثير من اللغويين العرب في الناحية الموضوعية و حاول كل منهم أن يتميز عن غيره بإضافة الجديد، و يعد معجم **المخصص لابن سيده** ، بحق موسوعة لغوية، لقد اعتمد على مصادر مختلفة، و وسع لدائرة موضوعاته، فألف معجما ضخما يقع في 17 مجلدا، حوت عشرين كتابا و هي : خلق الإنسان، الغرائز، النساء، اللباس، الطعام، السلاح، الخيل، الإبل، الغنم، الوحوش، السلاح، الحشرات، الطير، الأنواء، النخل، المكنيات، المبنيات، المثنيات، الأضداد، الأفعال و المصادر، المقصور و الممدود.

و ثمة أبواب كثيرة لم يضمها ابن سيده إلى كتب بعينها، بل قامت بذاتها بين صفحات المعجم، مثل ما تلى كتاب الأنواء و ي أبواب: المياه و السيول و البحار و ما فيها و الآبار و الدلاء، كما لجأ إلى تقسيم كل كتاب إلى أبواب، فمثلا كتاب الوحوش حوى باب السباع، باب الطباء.. و غيرها.

قسم أيضا كل باب إلى فصول، يضم كل فصل معاني معينة، ففي باب الطباء نجد فصل أسنان الطباء و فصل أصوات الطباء و فصل نعوت الطباء من قبل أولادها و ألبانها... و غيرها.

و قد اعتمد ابن سيده في ترتيب معجمه على تقديم العام على الخاص و الكل على الجزء، و الجوهر على العرض كما رتب بعض مواد الأبواب من الصغر إلى الكبير.

كما قامت هذه الكتب و الأبواب و الفصول في جمع و ترتيب مادتها على العلاقات الدلالية المختلفة، التي تربط بين ألفاظ الباب الواحد أو المجال الدلالي الواحد.^{xxx}

خاتمة

حاولت في هذه المداخلة أن الفت انتباه، إلى أهمية العلاقات الدلالية في إعداد المعجم من حيث إحصاء مادته و جمعها، و من حيث هي وسيلة لتحديد مفهوم الكلمة، و أن معظم الدراسات أغفلت دورها، لا سيما في معاجم موضوعات و المعاني القديمة، قد تحدث الجميع على أن معجم المعاني يقوم على أساس الموضوع باعتباره منهجا في تصنيف مواد المعجم، و لكنهم أهملوا العلاقات الدلالية التي تربط و تحكم الألفاظ داخل الموضوع الواحد، باعتبارها المنهج الحقيقي داخل هذه المعاجم في جمع ألفاظها، فكيف أن هذه العلاقات شكلت في الآن ذاته ترسانة لغوية ذات مزايا جمة من جهة، و آلية هامة في إحصاء المادة المعجمية و حصرها من جهة أخرى في معاجم المعاني.

الهوامش:

- 1- أحمد مختار عمر : صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ط1 القاهرة، 1998، ص 75 - 77.
- 2- تحدد المدرسة التي ينتسب إليها العالم اللغوي موقفه من العلاقات الدلالية، فالمدرسة التاريخية تنكر هذه العلاقات، لأنها تتبع التطور اللغوي عبر اختلاف البيئات و العصور الذي ينجم عنه تطور صوتي و حتى دلالي، و بالتالي لا تعترف بالعلاقة المتولدة عن هذه التطورات، عكس المدرسة الوصفية و التي تعنى بدراسة اللفظة و تحديد ماهيتها و دلالتها في عصر محدد فتقف بذلك على ظواهر لغوية متعددة و متميزة
- 3- عبد الرحمان جلال الدين السيوطي : المزهري في غلوم اللغة و أنواعها، دار الجيل بيروت، لبنان ج1 ص 480.
- 4- نفسه ص 407 - 408 .
- 5- سثيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر دار غريب للطباعة، القاهرة ط1 ص 109.

- 6- ينظر في هذه المعلومات:
- رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة و المعجم, دار غريب للطباعة و النشر, القاهرة ص 31.
- السيوطي: المزهري, ص 406 .
- 7- نفسه ص 369.
- 8- ينظر في هذه المعلومات:
- نور الهدى لوشن : مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي, المكتبة الجامعية, الاسكندرية, 2000 ص 234 - 235 .
- رجب عبد الجواد ابراهيم : دراسات في الدلالة و المعجم, ص 50.
- 9- ينظر: أحمد مختار عمر, علم الدلالة, علم الكتب, القاهرة ط 1998/5 ص 102 و ما بعدها
- 10- ينظر : كريم زكي حسام الدين التحليل الدلالي إجراءاته و مناهجه, دار غريب للطباعة و النشر, القاهرة, 2000, ص 36 .
- 11- نفسه ص 31.
- 12- ينظر : احمد مختار عمر, علم الدلالة, ص 145.
- 13- ينظر : نفسه ص 68.
- 14 - نفسه ص 68.
- 15 - نفسه ص 85.
- 16- حلمي خليل : الكلمة دراسة لغوية معجمية, دار المعرفة الجامعية, 1998, ص 153.
- 17- ينظر :
- حسن جعفر نور الدين : كتاب المعاجم و الموسوعات بين الماضي و الحاضر, شركة رشاد برس للطباعة , بيروت, ط1/2003, ص 151 - 160 .
- أحمد فرج الربيعي: مناهج معجمات المعاني إلى نهاية القرن السادس الهجري, مركز الإسكندرية للكتاب, 2001 ص 250.

الظواهر الصوتية ومسارها التغايرية والوظائفية في المعاجم

الأستاذة : لحول تسعديت